النهار

جورجيا كخريطة للنفط الأميركي

◆ستيف ليفين
ترجمة: نسرين ناضر

أَخضعت الحرب المفاجئة في القوقاز جورجيا، وأكّدت من جديد أن روسيا هي القوة المسيطرة في المنطقة كما تزعم بنفسها، وسدّدت ضربة للهيبة الأميركية. لكن في هذا الجزء من العالم، تدور الديبلوماسية والحرب حول النفط والغاز بقدر ما تدوران حول الهيمنة والخسارة المأسوية للأرواح البشرية. والانتصار في جورجيا يمنح روسيا الآن الموقع المتقدّم في المعركة من أجل الوصول إلى ٣٥ مليار برميل من النفط وترى ليونات الأقدام المكعبة من الغاز في قزوين. أما الخاسرون المحتملون فهم الولايات المتحدة والشركات النفطية الغربية التي راهنت بقوة على قزوين باعتبارها واحدة من المناطق القليلة جداً حيث كان لا يزال بإمكانها أن تعمل بحرية نسبية.

وتقع في قلب المعركة شبكة واسعة من خطوط الأنابيب الموجودة أصلاً والمنوي إنشاؤها لشحن نفط بحر قزوين إلى السوق العالمية من بلدان كانت في السابق جزءاً من الامبراطورية السوفياتية. لقد ساعد صانعو السياسات الأميركيون بالتعاون مع كونسورسيوم بقيادة شركة «بي بي» BP على إنشاء خطوط أنابيب للنفط والغاز الطبيعي تعبر جورجيا في اتجاه الساحل التركي. والمشروع المقبل المزمع تنفيذه: خط أنابيب يعبر جورجيا لنقل الغاز الطبيعي من الشاطئ الشرقي لبحر قزوين إلى النمسا – بحيث يقدم إمدادات بديلة لأوروبا الغربية التي تعتمد الآن على روسيا للحصول على ثلث الطاقة التي تحتاج إلى ها.

لكن بعد المعاملة القاسية التي لقيتها جورجيا، «فإن أي فرصة لإنشاء خط أنابيب جديد غير روسي ينطلق من آسيا الوسطى في اتجاه أوروبا باتت معدومة كلياً»، كما يقول كريس روبل، المحلل في مجال الطاقة في شركة السمسرة «إكزيكيوشن» في غرينويتش في كونكتيكت.

وهكذا ربما سددت الحرب الروسية – الجورجية ضربة لخمسة عشر عاماً من الديبلوماسية الاقتصادية الأميركية. في منتصف التسعينيات، أدرك المسؤولون في إدارة كلينتون بينما كانوا ينظرون إلى خريطة للاتحاد السوفياتي الذي كان قد تفكك لتوه، حقيقة فريدة عن حدوده الجنوبية: كانت البلدان المستقلة حديثاً هناك تحتوي على كميات كبيرة جداً من النفط والغاز الطبيعي، لكن كان على ها أن تشحنها عبر روسيا للوصول إلى الزبائن. فمن دون خطوط أنابيب خاصة بها، لم تكن دول قزوين قادرة مطلقاً على تطوير صناعات الطاقة لديها تطويراً كاملاً أو الاستقلال سياسياً عن روسيا.

كما أن غياب خطوط الأنابيب كان يكبح الإمكانات التصديرى ة لشركات مثل «شفرون» التي تملك نصف تنجيز، الحقل العملاق في كازاخستان. بعد رفض الأمر في البداية، عادت شركتا «بي بي» و«شفرون» لتدعما الاستراتيجية الأميركية لإنشاء خطوط أنابيب.

غضب موسكو

كانت جورجيا نقطة عبور أساسية لأي خط متجه نحو الغرب. لقد شارك جون وولف، وهو سفير أميركي سابق يرئس الآن برنامج منح أيزنهاور، في معمعان المساومات ولي الأذرع الذي أدى إلى إنشاء ما يعرف ب«رواق الطاقة الشرقي – الغربي». يتذكر وولف أنه كان يجتمع بقادة أذربيجان وجورجيا وتركيا ويتناقشون حول بناء خط باكو – سيحان الممتد على طول ألف ميل، وهو أول خط أنابيب مستقل في قزوين لتصدير النفط. كان هؤلاء القادة يعلمون أنهم يجازفون بإثارة السخط الروسي لكنهم اعتبروا أن المغامرة تستحق العناء، كما يقول وولف. والآن يعبر نحو مليون برميل في إلى وم هذا الخط عادة. بالنسبة إلى جورجيا، ليست الرسوم التي تجنيها مقابل عبور النفط في خط الأنابيب – نحو ٦٠ مليون دولار سنوياً – هي المهمة، بل إن وجود الخط كان بمثابة مؤشر عن استقرارها وشجّع على تدفق الاستثمارات الأجنبية. بالتأكيد، تبين أن ذلك الاستقرار وهمي. غير أن المحللين يقولون إن الروس لن يتدخلوا مباشرة لوقف الإمدادات عبر خط أنابيب باكو – سيحان. تتوقف استراتيجيا موسكو على عدم إخافة الأوروبيين الذين من شأنهم أن يسعوا إلى بناء خطوط أنابيب أخرى غير روسية لنقل الطاقة. بما أنه لم تقع هجمات مثبتة على خطوط الأنابيب التي تعبر جورجيا، لم يطالب أي قائد أوروبي بإعادة النظر في سياسة الطاقة.

فضلاً عن ذلك، قد لا يحتاج الروس إلى إغلاق خط باكو – سيحان للفوز بالموقع المتقدّم في حروب الطاقة. يقول نك باتلر، المدير الرفيع المستوى السابق في «بي بي» الذي يدير حإلى اً مركز كمبريدج لدراسات الطاقة في كلية جادج لإدارة الأعمال في جامعة كمبريدج «لا شك في أن ما يحصل زاد المخاطر المترتبة على الاستثمار في المنطقة». في ١٢ آب، أغلقت «بي بي» خط أنابيب نفطياً ثانوياً ينتهي عند مرفأ سوبسا على البحر الأسود، خوفاً من شن هجوم عليه.

الروس يخططون لإنشاء خطوط أنابيب جديدة

خططت كل من «شفرون» و«إكسون موبيل» أيضاً لشحن مئات آلاف البراميل الإضافية في إلى وم على طول الخط الذي يعبر جورجيا. يسأل إداورد سي تشو، المدير التنفيذي السابق في «شفرون» وزميل أبحاث رفيع المستوى في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن «هل ترى د وضع مزيد من البيض في سلة جنوب القوقاز؟ وإذا أردت ذلك، هل على ك القيام ببعض التسويات مع الروس لحماية هذا البيض؟»

ماذا عن خطط البيت الأبيض لبناء خط أنابيب لشحن الغاز الطبيعي إلى أوروبا؟ يتوقف نجاح الخط المقترح على تركمنستان التي تملك رابع أكبر احتياطي للغاز الطبيعي في العالم، ويُقدَّر بثلاثة ترى ليونات متر مكعّب. التركمان حذرون: ففي ظل الرئيس السابق نيازوف، رفضوا تحدي الروس ولم يدعموا إنشاء خط أنابيب باكو – سيحان. يقول الديبلوماسي الأميركي السابق وولف «فكّر [نيازوف] في الأمر، وعلى الأرجح أنه قرر ألا يوقظ الأموات».

وقد يجعل الهجوم على جورجيا التركمان أكثر حذراً بشأن خط الأنابيب الجديد. فقد ينتهي بهم الأمر للتوصل إلى صفقة مع الروس الذين يعملون بجهد لإنشاء أنابيبهم الخاصة لنقل الغاز في محاولة للسيطرة على الطاقة في المنطقة. يقول المحلل روبل «ينزل ستار حديد جديد حول حدود روسيا».

رونالد ريغان أدرك المخاطر

في منتصف الثمانينيات، تحرك القادة الأوروبيون بقيادة ألمانيا لزيادة واردات الطاقة من روسيا كوسيلة للحد من اعتماد القارة على النفط الآتي من الشرق الأوسط المعرّض للنزاعات. لكن كما يروي مارشال آي غولدمان، الخبير المخضرم في الشؤون الروسية، واجهت خطط بناء خط أنابيب يربط حقول الغاز الروسي ببلدان في أوروبا الغربية، مقاومة شديدة من رونالد ريغان. فقد حذر ريغان الذي أدرك باكراً المخاطر الجيوسياسية التي يمكن أن تترتب على خط الأنابيب، من العواقب قائلاً، تذكروا حصار برلين. ومن أجل تحقيق مراده، منع ريغان شركة «جنرال إلكترى ك» من تصدير الآلات الضاغطة والمضخات المتطورة التي تصنعها لاستعمالها في المشروع.

الأهرام

الصين وتحديات التناغم والاستقرار بعد الأولمبياد

◆ د.أنور عبدالملك

تصورت أن اشراقة أولمبياد بكين ربما تتلوها فترة من العودة إلى نسيج الاهتمامات العادية، لاسيما ان الأزمة تحاصر اهتمام الناس لحظة انتقال الرئاسة الامريكية إلى مستقبل غير محدد بينما تفجرت أزمة القوقاز بشكل مدبر منذ هجوم جورجيا ليلة٨ أغسطس بساعات قبل بداية أوليمبياد بكين.

تراكمت الرسائل أمامي وكلها تدقق النظر في مرتبة الصين غير المرتقبة لهذه الصورة إلى هذه الدرجة والاسئلة تركزت حول الجوهر أي التفسير السببي من أين هذه الطاقة؟ من أين نسيج القوة والانجاز والجمع بين الهندام والجمال؟ وبينما كنت احاول العودة إلى الجذور إذ بصاحبي كعادته كما تحرك العالم يكرر نفس التساؤلات في زيارة تابعت رحلتك الفكرية إلى وجدان الصين منذ شهرين دعنا من الاضواء هل تظن كما يقول البعض أن اشراقة هذه الدورة الأوليمبية غير المسبوقة حقيقة تعود إلى تفوق الصين منذ آلاف السنين في تكنولوجيا الصواريخ؟ أم أنها ثمرة التعبئة الشاملة منذ سنوات لإعداد هذه الألعاب؟ أم ماذا؟

صاحبي يعبر عن كلام الناس في كل مكان هنا وفي انحاء العالم كافة لماذا ؟ ومن أين؟

لماذا؟ لان تاريخ الصين منذ عدة قرون خاصة منذ تشابه آثار حدثين أو نكبتين حقيقة اصابتا حياة الصين ووجدان الشعب بالجراح في الأعماق خلال القرنين التاسع عشر والعشرين كانت النكسة الأولي تتمثل في هزائم الصين المتكررة في مواجهة توغل الدول الغربية ايام حروب الافيون في القرن التاسع عشر قامت الحروب الأولي ١٨٤٠ ١٨٤٢. ضد بريطانيا لمنعها من تصدير الافيون لاغراق الصين وتحييدها وقد ترتب على هزيمة الصين احتلال هونج كونج وفرض فتح اسواقها الداخل التجارة البريطانية دون قيود ثم تحالفت بريطانيا وفرنسا في الحرب الثانية١٨٥٨ ١٨٦٠. بهدف كسر محاولات الصين فرض احترام سيادتها.

ومن هنا بدأت ثورة الفلاحين المعروفة بثورة التايبينج للثأر من المعتدين بعد هزائم الأسرة الامبراطورية الصينية وهي الثورة التي عمت قارة الصين وتشابكت مع ثورة البوكسرز١٩٠٠ حتي تأسيس الحزب الوطني الصيني عام١٩١١ برئاسة هون ياتسن. ثم جاءت النكسه الثانية هذه المرة على ايدي دولة شقيقة من آسيا الا وهي اليابان.

وكانت الصين قد دخلت إلى مرحلة التمزق حتي نهاية أسرة كينج واستقالة الامبراطور بويي١٩١٢ وتسليم عدة نواح من السيادة الصينية إلى إلى ابان حتي إعلان احتلال إلى ابان للصين١٩٣١ قامت الحرب التحريرى ة على عدة مراحل أولا بقيادة الحزب الوطني ثم الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماوتسي تونج بدءا من المسيرة الطويلة حتي النصر وإعلان تأسيس جمهورية الصين الشعبية في عاصمتها بكين في الأول من اكتوبر١٩٤٩ نكستان صاغتا ضمير الصين خلال ما اطلقوا على ه تسمية بانيان جووشي أي١٠٠ سنة من المهانة ومن هنا يمكن إدراك عمق استشعار الصين كلها بالجرح في الأعماق إلى درجة تفوق بكثير مجرد الهزيمة والاحتلال. من هنا كان شعار لاتفقدوا ذاكرة مهانتنا الوطنية من هنا كان هذا المعنى هو الخيط المشترك الذي جمع بين زعماء الصين منذ بداية القرن العشرين.

إلى ان جاء إعلان الرئيس ماو تسي تونج يوم النصر وتأسيس الدولة الجديدة لن تعود أمتنا إلى التعرض للشتائم والمهانة ها نحن وقد وقفنا من جديد بطول قامتنا!..

صاحبي يقاطعني: تقصد أن الثورة وحروب التحريرعلى امتداد قرن حتي١٩٤٩ هي التي كسرت الانكسار لكن هناك ثورات وحروبا غيرت مسار الشعوب دون أن تحدث هذه الطفرة الخرافية من المهانة إلى اشراقة ما يشاهده العالم هذا الصيف بعد ثلاثين عاما من الطفرة الاقتصادية الهائلة.

هذه المرة أنا الذي اقاطع صاحبي اسأله: ماذا لو تناولنا معا الجديد في مرحلة ما بعد الالعاب الأوليمبية الجديد أي مستقبل التناغم في مرحلة الصعود السلمي لقارة الصين.

قال صاحبي غريب أن تذكر اشكإلى ة التناغم وكأنك أردت ان تسبقني كنت على وشك سؤال ترى كيف توجه الصين العملاقة قضايا تحقيق التناغم الاجتماعي بعد اشراقة الألعاب؟ سمعنا الكثير عن الفوارق والتناقضات في الفترة الأخيرة خاصة بعد موجة الزلازل وكذا انتشار حالات الفساد في المناطق الثرية لعلك تقصد نفس الشئ أم ماذا؟

الاسئلة تتعدد تتكاثف تتشابك إلى أن جاءتني وثيقة بالغة الأهمية منذ أيام تحمل عنوان تقرير البحث في التناغم والاستقرار المجتمعي في الصين صدرت يوم١٢ سبتمبر عن الاكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعيةCASS وهي المؤسسة البحثية المركزية للدولة منذ١٩٧٨ التقرير بالغ الأهمية والخطورة وهو الأول من نوعه شمل٢٨ مقاطعة و١٣٠ مركزا ومدينة و٥٢٠ قرية و٧١٠٠ منزل ولعله من المفيد عرض أهم خطواته ونتائجه بشكل مرتب:

١. ٨٠٪ قالوا إن المجتمع الصيني متناغم بوجه عام بينما رأي٧٤,٩٪ ان المجتمع يمتاز بدرجة عإلى ة واساسية من التناغم هذا وقد رأي٩٥٪ أن الاستقرار بالغ الأهمية للصين في الوقت الحاضر.

٢. من غير الواقعي أن تتمتع جميع القطاعات الاجتماعية بنفس النصيب من ثمرات التنمية والإصلاحات في المرحلة الحإلى ة وذلك نظرا لتباين القدرات والامكانات والظروف في مختلف هذه القطاعات وكذا يجب التنبه إلى ان هذه الاختلافات يمكن أن تؤدي إلى تعميق الهوة بين مختلف القطاعات وبالتإلى فهي تحمل في طياتها امكانية ظهور تناقضات وأزمات في المستقبل.

٣. أين توجد بؤرة التناقضات التي تثير الاستياء وامكانات الصدام بين المتناقضات الاجتماعية التي بدأت تظهر؟ يرى التقرير أن بؤرة التناقضات تكمن في دائرة العلاقات بين الكادر أي فئة الموظفين وجماهير الشعب ومن أجل توضيح مفهوم الكادر أي موظفي الدولة يمضي التقرير إلى توضيح هذا المفهوم لاضاءة مساحات التناقض كما يلي: يرى نحو٧٠٪ من الناس أن هذا الكادر أو موظفي الدولة سيتأثرون بمعظم ثمار الثراء الاجتماعي، ومن بعدهم الفئات التإلى ة على التوإلى : نحو٥٤٪ يرون أن هذه الفئات تتكون من المشتغلين بمهن الترفيه والتسلية أي المشتغلين بالإعلام والفنانين ثم أكثر من٥٢٪ يرون أنهم اصحاب مؤسسات القطاع الخاص ومن بعدهم يرى نحو٤٨٪ أنهم مديرو مؤسسات القطاع العام وأخيرا يرى ٤٤٪ انهم من المهنيين.

٤ . ثم يمضي التقرير في تفنيد مساحة التناقضات بحثا عن أهم العوامل التي يستشعر عامة الناس أنها تمثل تهديدا لحياتها إلى ومية وكذا الاستقرار الاجتماعي حتي يخلص إلى تحديد قائمة السلبيات حسب درجة أهميتها كما يلي: البحث عن العلاج الطبي ايجاد عمل أو البطالة الاستقطاب بين الاثرياء والفقراء وفساد المسئولين والاستيلاء على أموال بوسائل غير مشروعة تكإلى ف السكن الآمن الاجتماعي، الهوة الساحقة بين المدينة والقرية وأخيرا تلوث البيئة.

٥ . ينتقل التقرير إلى محاولة الوصول إلى قاع التناقضات نقطة البداية بطبيعة الأمر هي تحديد نحو٥١٪ من المشاركين في تقييم آرائهم أن الهوة الساحقة بين الاثرياء والفقراء هي التي تستقطب عوامل الشعور بالهوة والصراع بين مختلف القطاعات الاجتماعية ثم يرى التقرير أن هذه الهوة لاتمثل الدافع الرئيسي من استياء محدودي الدخل من الاثرياء وإنما السبب الرئيسي يكمن في الوسائل غير المشروعة التي يتبعها بعض الاثرياء لتحقيق تراكم ثرواتهم خاصة الرشوة والاستيلاء على الأموال بطرق غير قانونية.

٦ . الخلاصة يرى التقرير أن معدلات عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية بلغت مستوى يجعل من المرتقب حدوث مشكلات وصدامات مجتمعية كما تشير التجارب الدولية إلى ذلك وهو أمر طبيعي، المهم وهذه خلاصة التقرير أن مسح الرأي الواسع الذي تم يؤكد أن٩١,٦٪ من المشاركين أعلنوا ثقتهم التامة في قدرة الدولة والحكومة على مواجهة المشكلات إن اجلا أو عاجلا كما أن٩٣,٥٪ منهم يعتقدون ان جيل ابنائهم سوف يتمتع بحياة أفضل بكثير.

صاحبي يسألني: لماذا ترى تقدم لنا إلى وم تقرير الاكاديمية؟ ألم نتفق أن استشرافه الالعاب الاوليمبية تكفي بعد مشوار الثورة؟ إن اشراقة الألعاب الأوليمبية تؤكد صعود الصين في قلب العالم الجديد لكن الصين تدرك جدلية التاريخ تعلم ان مسيرة الارتقاء السلمي إلى الصف الأول تعني مسيرة طويلة من نوع جديد لا تقل صعوبة عن مسيرة ثورة التحرير.

كان من الممكن انكار المصاعب والتناقضات لحظة بريق اضواء الالعاب لكن الواقع له الأولوية هكذا أرادت الصين أن تقيم الدورة الثانية للالعاب الأوليمبية لذوي العاهات لكي تؤكد حق الضعفاء إلى العناية وكامل المشاركة في مباريات ابطال العالم اي ان هذه الدورة تمثل اهتمام الدولة بشكل ساطع بالقطاع المهمش تقليديا تأكيدا أنها دولة الشعب العامل في المقام الأول تاريخيا وكذا الآن في مطلع مرحلة الصعود السلمي وأخيرا وليس آخرا تفجرت مسألة اللبن الفاسد نتيجة للهرولة إلى المكاسب السريعة غير المشروعة فكانت المواجهة الصارمة فورا.

قال صاحبي:

شوف ياأخي شوف شوف الصراحة والشفافية والشعور بالمسؤولية والاعتراف بالثغرات لتفادي الأزمات الدولة الكبيرة هي التي تنجز وتتقدم نعم وتؤكد مكانتها بين الأمم. أما دولة الحضارة فهي التي تواجه ثغرات أدائها وزلات رجالها لتضيء حياة الناس تدخل قلوبهم هكذا يكون الشروق إلى س كذلك.؟

الاتحاد

فرانسيس.. فرانسيس هل ما زلت متفائلاً؟

◆سعد محيو

حين احتفل الغرب بانتصاره في الحرب الباردة، بدت صورة العالم زاهية. فالاقتصاد الجديد وفرص السلام وعدت بنمو اقتصادي متواصل. وأمريكا أصبحت الدولة العظمى الوحيدة التي يتوقع أن تنتهج سياسات "خيّرة وحميدة" في امبراطوريتها العالمية الجديدة. بيد أن كل شيء تغيّر الآن: الأسواق المإلى ة تهاوت كورق الخريف. والاقتصاد الجديد أظهر كم هو هش. والشركات العملاقة أثبتت أن لها رجلين من طين. ويتعّين على المحللين الاستراتيجيين الآن أن يسألوا أنفسهم: ماذا ستعني كل هذه التطورات بالنسبة للاقتصاد والأعمال؟ هل هذه مجرد مرحلة من سوء الحظ، أو أنها تتعلق بتغيير جذري؟ أي نوع من العالم سنعيش فيه قريباً؟

هذه الأسئلة طرحت في أوائل القرن الحادي والعشرين حين أطلت أولى "بشائر" الأزمات الاقتصادية برأسها، فرد على ها قباطنة الرأسمإلى ة حينذاك بأربع فرضيات:

الاولى تقول إن النمو الاقتصادي هو القاعدة وإن دورات الركود هي الاستثناءات.

والثانية، أن إنتاج الموارد الطبيعية سيستمر. وأي نقص يحدث في مورد ما، سيقود الى استبداله بمورد آخر تبدعه التطورات التكنولوجية.

والثالثة، هو أن الشركات التي يملكها حاملو الأسهم ستبقى الشكل المهيمن على التنظيم الاقتصادي. وفي الوقت نفسه، ستعمل هذه الشركات في سوق عالمي حر وغير مقيّد.

والرابعة، أن النماذج الغربية لرأسمإلى ة السوق الحرة والانتخابات الديمقراطية ستنتشر بالتدريج في كل أنحاء العالم .

هذه الفرضيات المتفائلة توّجها فرانسيس فوكوياما بنظريته حول "نهاية التاريخ والانسان الأخير" (١٩٩٩). لكن يتبيّن الآن كم كانت رؤى فوكوياما موغلة في الفكر الرغائبي. وقد صدر مؤخراً كتابان يوضحان هذه النقطة.

الكتاب الأول، للمؤلفة الأمريكية هرتز "الصمت يسيطر"، يرى سبب المشكلة الراهنة في الحرية المطلقة التي تتمتع بها الشركات الكبرى. وتقول هرتز إن هذه الشركات تسيطر الآن على ٢٥ في المئة من أرصدة العالم، وقد هيمنت بصمت على الحكومات التي أصبحت ألعوبة في يدها. فهي "الشركات" باتت ربة عمل السياسيين ومصدر أموالهم؛ وهي متحرّكة جغرافياً في كل العالم ولذا تختار القوانين التي تعجبها أو تلائمها. الاغنياء مع هذه الشركات يصبحون أكثر غنى، والفقراء أكثر فقراً.

وتحبذ هيرتز تغيير المسار لتجنب خسارة هوية الفرد والهوية القومية على يد ديناصورات الاقتصاد. كما تصف بالتفصيل المشاكل التي تسببت بها اقتصادات السوق غير المقيدة، وتحذّر من أن الأمر الواقع الراهن لا يمكن أن يستمر. "وهذا كان قبل الانفجار الراهن للفقاعة المإلى ة الأمريكية".

الكتاب الثاني لغراي "الفجر الكاذب" يوضح أن الصراع بين الرأسمإلى ة والشيوعية كان في الحقيقة نزاعاً بين أيديولوجيتين متنافستين لفلسفة أوروبية واحدة: التنوير. وهو يوافق على أن مستقبل العالم سيبقى رأسمإلى اً برغم الأزمات الحإلى ة، لكنه يرى بروز العديد من الرأسمإلى ات من دون أن يكون بينها قواسم مشتركة كثيرة. وبالتإلى ، كان من الخطأ برأيه محاولة فرض الرأسمإلى ة الأمريكية في كل مكان .

غراي وهيرتز يتقاطعان عند نقطة واحدة: إنهما غير متفائلين بالمستقبل، ويخشيان أن تنتهي المرحلة الرأسمإلى ة الراهنة بحروب شاملة.

لكن، هل هما الوحيدان في هذا التشاؤم وذاك الخوف، بعد التسونامي المإلى الذي ضرب أمريكا؟

ربما بات يتعّين على نا الآن طرح السؤال على.. فرانسيس فوكوياما.

الأهالي

صرعة الكوتا النسائية

◆أمينة النقاش

هناك ما يشبه التعميم على معظم دوائر النقاش النسائية والإعلامية الرسمية وغير الحكومية، بضرورة المطالبة بإدراج نظام «الكوتا النسائية» كأفضل نظام لتمثيل النساء في المجالس النيابية، ضمن الدعوة المتكررة لتفعيل مشاركة المرأة في الحياة السياسية، وفي هذا السياق تعقد المقارنات بين النسب المرتفعة لتمثيل المرأة في المجالس النيابية في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا وعدد من الدول العربية، مقارنة بضعف تمثيلها في مصر، وأغلب الظن أن المناقشة قد ارتفعت حدتها بعد أن أعلنت الحكومة أن الأولوية للتشريعات المنظورة في الدورة القادمة لمجلس الشعب في نوفمبر المقبل، ستكون لقانون الانتخاب، طبقا لما ورد في برنامج الرئيس مبارك الانتخابي وللتعديلات الدستورية، التي أجازت للمشرع أن يأخذ بالنظام الانتخابي الملائم، الذي يسمح بمشاركة فاعلة للمرأة في الحياة السياسية، بما في ذلك الجمع بين النظام الفردي ونظام القوائم الحزبية بالنسب التي يحددها، وأجاز أن يتضمن حدا أدنى لمشاركة المرأة في المجالس النيابية، توقيا للطعن بعدم الدستورية، الذي تسبب قبل ذلك في إلغاء انتخابات عامي ١٩٨٤ و١٩٨٧ اللتين أجريتا بالقائمة النسبية المشروطة وبالجمع بين نظام القائمة والمقعد الفردي على التوإلى ، ومعنى ذلك أن النص الدستوري المعدل لم يحتم الأخذ بفكرة «الكوتا»، وإن كان أجاز للمشرع الاخذ بها، لكن المؤكد أنه أقر مبدأ الحد الأدنى لتمثيل المرأة، وأضفى مشروعية دستورية مرنة تسهل للمشرع تحقيق ذلك.

وكعادة الحكومة التي لا تحيد أبدا عنها، فقد ظلت صامتة منذ انتهاء انتخابات عام ٢٠٠٥ ولم تطرح للنقاش العام مشروع القانون الخاص بالنظام الانتخابي الجديد، لكي تمارس هوايتها في تمريره وإجازته في اللحظة الأخيرة بالطريقة التي تناسب احتكارها السياسي.

وفتح المجال لتوسيع المشاركة السياسية للمرأة، هو أمر حيوي، لكل مجتمع يسعي للتحديث ولإجراء إصلاحات جذرية في نظامه السياسي وتوسيع أطره الديمقراطية، لكن «الكوتا» ليست بالضرورة، هي النظام الأمثل لتحقيق ذلك.

فقد أثبتت الدراسات التي تناولت تجربة تخصيص ثلاثين مقعدا للمرأة في برلمان عام ١٩٧٩، أنها لم تكن ناجحة، وأنها لم تبرز قيادات برلمانية نسائية جديدة، لأنها ربما تكون قد أضفت على المرأة حماية تشريعية ارتكنت إلى ها واكتفت بها بديلا عن تطوير قدراتها الذاتية وأدائها البرلماني، كما أن «الكوتا النسائية» سوف تفتح الباب لمطالبات مماثلة مشروعة للفئات الأكثر ضعفا في المجتمع وللأقليات الدينية، بما يحول النظام السياسي المصري إلى نظام المحاصصة الشائع في دول الجوار الذي قسم الأوطان ولم يحفظ وحدتها.

ونظام الانتخاب بالقائمة النسبية غير المشروطة هو وحده القادر على حل هذه الإشكإلية، وهو ما يتطلب النص في القانون على التزام الأحزاب والقوائم التي تخوض الانتخابات أن تضع المرأة والأقليات الدينية في مواقع متقدمة من قوائمها، بحيث يمكن تمثيلها بشكل طبيعي بعيدا عن الاصطناع، وعن النظرة النسوية التقليدية والنخبوية التي تفصل بين قضايا المرأة وقضايا المجتمع، وتصور وجودها في البرلمان معيارا وحيدا للمشاركة والتقدم، مع أن المشاركة السياسية لنصف المجتمع الآخر لاتزال محدودة، كما أن المواطنين من الرجال والنساء لا يشاركون في صنع القرار الذي يمس أبسط حقوقهم!!.